داود باشا الذي مر الكلام عنه، كان يريد الإصلاح في نواح متعددة على قدر ما كان يسمح به ذلك الزمن. كان من جملة ما فعله أن ينشئ مدارس في لبنان، لم يكن في لبنان مدارس حتى ولا بعد داود باشا ما في مدارس في الولايات كان في مدارس، فأراد داود باشا أن ينشئ مدرسة، فأنشأ مدرسة في دير القمر وأنشأ مدرسة في بعقلين، وجمع الأوقاف الدرزية بوقف واحد جمعه، الأوقاف، الأوقاف المتروكة جمعها باعتبار لا ولاية عليها جمعها باسم الأوقاف الداودية نسبة إليه، أو الأوقاف العامة أو أوقاف الدروز. من هذه الأوقاف قامت المدرسة التي سميت بالمدرسة الداودية. ولكن من طبيعة الحكام أن يطرز الخلف على أعمال السلف يمحوها، يوم جاء رستم باشا ألغى الاسم الداودية وسماها المدرسة اللبنانية الدرزية. فلما جئت أنا وهذه المدرسة لم تلق يوما سعيدا لأن السياسة دخلت فيها، والسياسة كما تعلمون ما دخلت شيئا إلا أفسدته. فكان يتغير النظام بتغير القائمقام. كان الرئيس الطبيعي لهذه المدرسة قائمقام الشوف وكان قائمقام الشوف يكون درزيا باعتبار تقسيمات ...، فإذا كان عهد متصرف يميل إلى فرنسا، تكون اللغة الرسمية اللغة الفرنساوية، ففي أثناء السنة إذا عزل قائمقام وإجا غيره يميل إلى الإنكليز، بتصير اللغة إنكليزية. ثم منهم الذي هو عدو طبيعي للعلم كما في اليوم ذكرنا من قبل، كان يريد أن يقضي عليها أن لا تكون مدرسة حتى لا يستميل أبناء الطائفة، فيكون موقفه معهم موقف مساواة أو شيء، لذلك ما نجحت إلا في عهد داود.